

مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725



الدلالات العقدية في حديث الأربع في الأمة من أمر الجاهلية وأثرة على المسلم - دراسةعقدية -

THE COMPLEX CONNOTATIONS OF THE HADITH OF FOUR ON THE MUSLIM NATION FROM THE PRE-ISLAMIC CULTURE OF IGNORANCE/JAHILYYAH AND ITS EFFECT ON A MUSLIM: A DOCTRINAL STUDY

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	د/ أحمدعليمصلحمزروع Dr. Ahmad Ali MoslehMazru	لا يوجد	لا يوجد
الدرجة العلمية	أستاذ مشارك		
مخبر الانتماء	قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية		
جامعة الانتماء	جامعة ذمار		
البلد	الجمهورية اليمنية		
البريد الإلكتروني	ahmad.mazru@tu.edu.ye ahmad7mazru@gmal.com		

الملخص باللغة العربية	
الملخص	ملخصالبحث: - إنشاء الله تعالى هذا البحثي سلط الضوء على أهمية الحديث من حيث بيان (الدلالاتالعقديةفيحديثالأربعفيالأمةمنأمرالجاهلية،وأثرهاعلىالمسلم). - يعتبرحديثالأربعفيالأمةمنأمرالجاهليةمنجوامعالكلمالتيأعطيهاالنبيصلىاللهعليهوسلم،فقدحذرأمتهمنأمورالجاهلية،ومسائلهاأيماتحذير. - إنبيانمسائلالجاهليةوأمورهامنالأهميةبمكان. لأنهاتعتبرقادحةلعقيدةالمسلم،ولأنترابطالعقيدةمعالصفاتالإيمانيةترابطتلازمي،فالعقيدةالصحيحةتحملصاحبهاعلىنبذأمورالجاهليةومسائلها،وتبعدهعنالانحرافمنالمعتقدالحقالذييجبعلىالعبدأنيتمسكبه. -

	إنبيانأمور الجاهليةومسائلهاتجعلالعبدالمسلمعلىبصيرةمنأمره، ساعياًجاهداًإلىإزالةكلسببمنالأسبابالموصلةإلىأمور الجاهليةومسائلها. - يرتكزهذاالبحثعلىأفكارأربعةأساسيةهي: الفكرةالأولى: بيانمدلولحديثالأربعفيالأمةمنأمرالجاهلية. الفكرةالثانية: البحثعنالدلالاتالعقديةفيحديثالأربعفيالأمةمنأمرالجاهلية. الفكرةالثالثة: ضرورةالنظرفيدقائقالتعبيرالنبوي، واستخلاصه، وبيانأسلوبه، ومعناه، ومايستفادمنه، مستنبطاًالمسائلالعقديةالواردةفيالنصالنبويمنخلالدراسةالألفاظوالمعاني. الفكرةالرابعة: بيانالأثرالمترتبعلىالمسلمعندسلوكهلأمور الجاهلية، ومسائلها. وعلىهذهالأسسنشأهذاالبحثلإبرازالدلالاتالعقديةالواردةفيالنصالنبويللحديثالواردبحثه، وضرورةالنظرفيها، وإبرازأثرذلكعلىالمسلمفيحياتهوآخرته.
الكلمات المفتاحية:	ترفق الكلمات المفتاحية باستخدام الفاصلة المنقوطة بين كل كلمة وأخرى.

الملخص باللغة الأجنبية

ABSTRACT:	-Godwilling, thisresearchhighlightsits importance in terms of the statement (the doctrinal implications of the hadith of the Four on the Nation of the issue of Jahilyyah (pre-Islamic culture of ignorance), and its impact on Muslims. -The Hadith of the Four in the Nation of the issue of Jahilyyahisconsidered one of the JawamialKalim i.e. the shortest expression carrying the widestmeaningsgiven to the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah beuponhim). He warnedhis nation about the Jahilyyah and itsconducts, in a mostcautionaryway. -It is important to clarify the issues and conducts of ignorance. Becauseitisconsidered a dispraise to the Muslimcreed, and the cohesion of the creedwith the religiousattributesisinherent. The correct creedcompels a person to reject the Jahilyyah and itsconductspreventinghimfromgoingastrayfrom the truebeliefwhich the slave must uphold. -The statement of Jahilyyah and itsconductsmakes the Muslim

	slave aware of his/her situation, and strives to remove all causes connectedwith the issues of Jahilyyah/ignorance and itsconducts. -This researchisbased on Four basic thoughts: The first thought: manifesting the indication of the hadith of the Four on the Muslim nation from the Jahilyyah and itsconducts. Second thought: The search for dogmatic connotations in the Hadith of the Four on the Muslim Nation from the Jahilyyah and itsconducts. The thirdidea : The need to examine the details of the prophetic expression, inferencingit, revealingits style and meaning and its moral message , synthesizing the dogmatic issues contained in the prophetictextthrough the study of words and meanings. Fourthidea : Manifesting the impact consequences on a Muslimwhenfollowing the conduct of Jahilyyah and itsmatters. On these grounds, thisresearchwasestablished to highlight the dogmatic connotations in the prophetictext of the Hadith of the Four under investigation and the importance of analyzingit and to highlight the impact of this on the life of a Muslim and the life after.
Key Words:	الدلالات – العقدية – حديث – الأربع – الأمة - الجاهلية - المسلم. CONNOTATIONS- THE COMPLEX- HADITH - FOUR - NATION- IGNORANCE - A MUSLIM.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق على حين فتره من الرسل، وفي جاهلية جهلاء، لا تقيم للحق وزناً، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها، وما استحسنته أسلافها من الآراء والمعتقدات المنحرفة والمذاهب الباطلة، كما قال الله تعالى:(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ {البقرة/170}).

ولقد تضمنت السنة النبوية جملة من الإرشادات والتوجيهات والتنبيهات التي تسهم في صلاح العبد واستقامته، مبينة طريق الحق القويم، والصراط المستقيم، موضحة المسائل والأمور التي تكون سبباً للانحراف عن المعتقد الحق، ومن تلك الإرشادات والتوجيهات والتنبيهات: الحث على ترك طريق الجاهلية وأمورها، والتمسك بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً في المسائل العملية والعلمية.

ومن الأهمية بمكان أن تُدرس وتُبحث مثل تلك المسائل المتعلقة بأمور الجاهلية، مشتملة دراستها على جميع جوانبها تفصيلاً وتوضيحاً. ومن تلك المسائل المهمة في دراستها الواردة في حديث: (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية).

فهذا الحديث النبوي من جوامع الكلم يحوي عدداً من الدلالات العقدية، وتمثل هذه الدلالات بيان المنهي عنه من أمور الجاهلية الخاصة بمسائل التوحيد، والقدر، وما يخص القنوط والتضجر، وعدم الصبر على أقدار الله -عز وجل- والتمسك بما ورد في الإرشاد والتنبيه النبوي الذي يدار عليه النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، فلذا رأيت أن أفرد بحثاً بعنوان: (الدلالات العقدية في حديث الأربع في الأمة من أمر الجاهلية وأثره على المسلم - دراسة عقدية-).

فدراسة مثل هذا الأمر مهمة جداً لأنها تمس جانب العقيدة التي هي أشرف العلوم، وأجلها قدراً، فالعلم بالعقيدة، والدعوة اليها، و تصحيح الانحراف عنها يعد أهم المهمات، وأوجب الواجبات.

فلا صلاح، ولا عز، ولا فلاح للأمة أفراداً وجماعات، إلا بفهم العقيدة الصحيحة وتحقيقها والعمل بمقتضاها. اتباعاً واقتداءً لأمر الله - عز وجل – وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فعلاً وتركاً.

نص الحديث المتعلق بالبحث:

جاء في صحيح مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (644/2) برقم / 934 عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، قال صلى الله عليه وسلم:(النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطرانٍ ودرعٌ من جربٍ).

من طبيعة البحث العلمي أن يبرز فيه أسباب اختياره، وأهدافه، وأهميته، والمنهجية العلمية المتبعة في ذلك، وحدوده، ثم إبراز خطته وتفاصيلها، والنتائج للبحث، ويتم ذلك من خلال الآتي:

أولاً: أسباب اختيار البحث:

تظهر أسباب اختياره في الأمور الآتية:

1) دراسة قضايا العقيدة الواردة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها المصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة الصحيحة.
2) إبراز مكنون جوامع الكلم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تضمنه حديث (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية). من دلالات عقدِّية، وما يجب على العبد مراعاته في علاقاته مع الله - عز وجل.

3) إبراز مكنون خطورة أمور الجاهلية في الانحراف عن المعتقد الحق، ونبذ ذلك، والاستقامة على الطريق القويم والصراط المستقيم.
4) ضرورة الاهتمام بأمر العقيدة، وقضاياها وتنقيتها من الشوائب، والحفاظ على سلامتها، ببيان أمور الجاهلية، فالعقيدة الصحيحة تقوية لإيمان العبد المسلم بربه.
5) العمل على إبراز ما يجب أن يكون عليه العبد المسلم في اعتقاده بربه -عز وجل-، وفي إيمانه العميق بأقداره وقضائه وحكمته وعدله، وألا يعترض عليه في كل أمره ونهيه.
6) إن كشف الآفة والداء للأمة المسلمة، وعرض أمور الجاهلية، وبيان خطرها خطوة نحو الأمر الأجدى، والأنفع، والأنجح والأقوى، ليستقيم العبد المسلم على المعتقد الحق. فمعرفة الداء أساس العلاج.
7) تجلية هذا الموضوع، وبيانه، وتفصيله، وإبراز آثار ذلك على عقيدة العبد المسلم، ملماً بكل ما تم استقراؤه في ذلك.

ثانياً: أهداف البحث وأهميته:

أ - تظهر على وجه الإجمال في جانبين اثنين هما:

الأول: الثلمة التي يسدها البحث.

الثاني: ما يحصل من بيان للدلالات العقدُّية في حديث (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية)، وآثار ذلك على عقيده العبد المسلم.

ب -أما على جهة التفصيل فهي كالآتي:

1 - بيان أسرار جوامع الكلم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها حديث (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية) وما تضمنه من فصاحة المعاني والألفاظ، مظهراً الدلالات العقدِّية، مستخرجاً ما احتواه من العلم والفوائد والمعارف، في منطوقها، ومفهومها، ولوازمها، وإشاراتها، وبيان الحق فيها.
2 - إشعار المسلم باستحضار مسائل العقيدة الصحيحة، والارتباط بها في جميع الأحوال العلمية والعملية.
3 - معرفة الله -عز وجل- بحكمه وقدرته وعدله من أهم المسائل المتعلقة بالعبد المسلم في حياته وسلوكه، واعتقاده، فهي متعلقة بالاستسلام المطلق لأقدار الله -عز وجل- والإيمان بها، وأن الله المتصرف في الكون مستشعراً أصله وبدايته، وهذا من أعظم مسائل أصول الدين، وهي من العبادات التي لا نجاة للعبد إلا بتحقيقها.
4 - نشر مسائل وأمور الجاهلية التي تكون سبباً للانحراف عن المعتقد الحق، وبيانها، وتوضيحها، وتفصيلها، والاستفادة من ذلك للحفاظ على المعتقد الحق.
5 - التأثير البالغ الذي يحدثه الإيمان والمعتقد الصحيح، وأهمية ذلك المعتقد في حياة الفرد، والجماعة، والأمة المسلمة.
6 - إظهار المنهج السليم للوقاية من مسائل وأمور الجاهلية، في ضوء الاتباع للشرع ممثلاً في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهدي سلف الأمة الصالح.
7 - السعي إلى الالتزام بالمعتقد الحق، ونبذ مسائل وأمور الجاهلية، والابتعاد عنها.
8 - التأكيد على اتباع الحق، واقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجنب مسائل وأمور الجاهلية.
9 - الإيمان بالمفاهيم العقدية الصحيحة، وأهمية اتباع أصول المعتقد الحق قولاً وعملاً.

10 تظهر أهمية الموضوع بقدر ما يظهر من اتباع المعتقد الحق مستحضراً نهى النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في الحديث تنفيراً وتقبيحاً لمسائل، وأمور الجاهلية، وأن السلوك فيها جهل وحمق وضلال عظيم.

11 -أهمية بيان الآثار والنتائج السيئة التي تفرزها أمور الجاهلية، وما يحصل بسببها من انحراف عن المعتقد الحق.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

تناولت كتب شروح الحديث، وبعض كتب العقيدة الكلام عن حديث(الأربع في الأمة من أمر الجاهلية) بطريقة عامة و اجمالية، وبحسب علمي لم أطلع على عمل علمي أُفرد ببيان الدلالات العقدية في هذا الحديث، وأثره على المسلم، فاستعنت بالله تعالى بإفراده ببحث مستقل بجمع ذلك وبيانه وتوضيحه.

رابعاً: منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على الآتي:

1 - المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء حديث النبي صلى الله عليه وسلم الدال على أمور الجاهلية، وما يتعلق بذلك.

2 - المنهج التحليلي الوصفي: وذلك بعمل دراسة خاصة لحديث(الأربع في الأمة من أمر الجاهلية) من جانب عقدي، وبيان معانيه، ودلالة ألفاظه، وتصنيف ذلك حسب خطة الموضوع وفقراته، تناسباً، وتنظيماً، وتحديداً، وتوضيحاً للدلالات العقدية فيه.

3 - المنهج الاستدلالي الاستنباطي: وذلك لاستنباط المنهج النبوي، وأساليبه، في إثبات المسائل العقدية، ودلالات الحديث النبوي الشريف على ذلك، وبيان الأثر المترتب على عقيدة المسلم.

خامساً: حدود البحث ومصطلحاته:

أ - حدود البحث: حديث (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية).

ب -مصطلحات البحث وكلماته الدالة: (الدلالات - العقدية - حديث - الأربع - الأمة - الأمر - الجاهلية – الأثر - المسلم).

سادساً: خطة البحث وهيكله:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من (مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة) كالآتي:

المقدمة وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، ومصطلحاته، وخطته.

المطلب الأول: تحديد مصطلحات البحث.

المطلب الثاني: الدلالات العقدية في الحديث الوارد.

المطلب الثالث: أثر أمور الجاهلية على عقيده المسلم.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

(والله أسال ان يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وهو الهادي إلى سواء السبيل).

المطلب الأول: تحديد مصطلحات البحث.

الفرع الأول: مفهوم الدلالات

أولاً: الدلالات لغةً: جمع دلالة.

- قال ابن فارس - رحمه الله-: "الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء وأمارة تتعلمها، والأخرى: اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء"[1].
- وقال الجوهري - رحمه الله -: "الدلالة في اللغة مصدر دلّه على الطريق دلالةً ودُلولة في معنى أرشده"[2].
- وقال ابن منظور - رحمه الله -: "دلَّه على الشيء يدله دلاً ودلالةًَ فاندل: سدده إليه، والدّليل: ما يستدل به، والدّليل: الدال، وقد دَله على الطريق يُدلهُ دَلالة ودِلالة ودُلالة والفتح أعلى، والدّليل والدّليلي: الذي يدلك".[3]
- وقال الفيروز آبادي - رحمه الله-: "ودله عليه دلالةً فاندل: سَدْدَه إليه"[4]
- وقال الراغب الاصفهاني - رحمه الله- "الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، سواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة الإنسان فيعلم أنه حي، كما في قوله تعالى:(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {سبأ/14}).
- وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والأمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل: في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء باسم مصدره[5].
- وقال - رحمه الله- في الدلالة في الآيات القرآنية: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كلاماً كان أو غير كلام" [6]
- وخلاصة القول: إن معنى الدلالة في اللغة يشير إلى:" الإرشاد- الإبانة - التسديد – الأمارة – العلامة – ومعرفة الشيء بأي وسيلة سواءً حسية أم معنوية - لفظية أو غير لفظية"

ثانياً: الدلالة في الاصطلاح:

تنوعت تعريفات العلماء لمصطلح الدلالة تبعاً لاختلاف تخصصاتهم، متنوعة في الألفاظ، متقاربة في المعنى، منها:

1 - قال التهانوي - رحمه الله- في تعريف الدلالة: "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر "[7].

2 - قال الاصبهاني - رحمه الله- إن:" دلالة اللفظ عبارة عن كونه، بحيث إذا سمع أو تخيل لاحظت النفس معناه".[8]

3 - قال الزركشي - رحمه الله - إن الدلالة:" هي كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالماً بوضعه له"[9].

4 - قال ابن النجار - رحمه الله – عنها:" هي كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر، فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول"[10].

5 - وقال ابن حزم - رحمه الله - وغيره من الأصوليين في تعريف الدلالة:" إن الدلالة هي فعل الدليل" [11].

وقد علل ابن حزم تعريفه للدلالة بهذا، لكون هذا التعريف (يعني ممارسة الدلالة) فيكون إنشاء النص وفهمه (في الدلالة اللفظية) مشمولاً بمفهوم الدلالة، وذلك أن المناطقة يشيرون إلى الدلالة إما باعتبارها وصفاً للفظ، وإما وصفاً للسامع"[12].

وبعد أن عرّف الأصوليون الدلالة بأنها فعل الدليل، عرّفوا الدليل بأنه: المرشد إلى المطلوب، والموصل إلى المقصود، ولا فرق بين أن يحصل منه العلم أو غلبة الظن[13].

وباعتبار ما ذكره التهانوي وغيره فإن الدلالة: معنى منتزع من الدال والمدلول،وينشأ من العلم بالدال العلم بالمدلول[14].

وعّرف بعض المعاصرين علم الدلالة بأنه: العلم الذي يدرس المعنى، والبحث فيه بوجه عام [15].

ونستخلص مما سبق: أن الدلالة في الاصطلاح الشرعي:" علم دراسة المعنى والألفاظ، واستخراج المسائل العقدية والحكم والأحكام الواردة في النص الشرعي".

ونقول أيضاً: "أن المراد بالدلالات هنا: استنباط المسائل العقدية الواردة في النص النبوي من خلال دراسة الألفاظ والمعاني".

الفرع الثاني: التعريف بالعقيدة لغةً واصطلاحا:

أولاً: مفهوم العقيدة لغةً:

لفظ منسوب إلى العقيدة، والعقيدة فعيله. وهي مأخوذة من (العقد) وهي مصدر(عقدَ، يعقدُ، عقداً).

وتدور مادتها وما تصرف منها على عدة معان منها:

1 - التوكيد: قال الله تعالى:(.... وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.....)، أي بعد عقدها وتوثيقها.

2 - الشد والربط المحكم: تقول: فلان عقد طرفي الحبل، أي أوصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكها. فأحكم وصلهما.

3 - الملازمة: لما ورد في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما-:" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة [16]" أي أن الخير ملازم لها، كأنه معقود فيها، وذلك لاستخدامها في الجهاد في سبيل الله.

4 - القرب: تقول: فلان مني (معقد الإزار) أي: قريب المنزلة عندي.

5 - إبرام الشيء وإحكامه: ومنه قول تعالى:(.... وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ...).

6 - ومنه: الثبات، والاستحكام، والوجوب، والصلابة.[17]

ثانياً: مفهوم العقيدة اصطلاحاً:

1 - العقيدة في الاصطلاح العام: "تطلق على الإيمان القطعي الجازم الذي لا يتطرق إليه شك، ولا ريب عند معتقده، أياً كان ذلك الاعتقاد حقاً كان أم باطلاً، وسميت عقيدة لأن الإنسان يعقد عليها قلبه".

وقيل هي:" الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ولا يخالطها شك"[18].

وقيل هي:" ما يشدد ويربط الإنسان قلبه عليه من أصول الإيمان وما يلحق بها".

وعرفها بعضهم بأنها:" الإيمان الذي لا يحتمل النقيض"[19].

2 - العقيدة في الاصطلاح الخاص (العقيدة الإسلامية) هي:" العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، أي: العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية[20].

والمراد بالعقائد الدينية: العقائد المنسوبة إلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، سواءً توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا، وسواء كانت من الدين في الواقع في كلام أهل الحق، أم لا، ككلام المخالف، واعتبر في أدلتها اليقين، لأنه لا عبرة بالظن، وتكون مستمدة من الكتاب والسنة والإجماع والنظر الصحيح[21].

وقيل:" هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، ويعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً[22].

وقيل هي:" الإيمان الجازم بأصول الإيمان الستة، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وأركان التوحيد، والكرامات والمعجزات، والأخبار القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من مسائل الإيمان والكفر، مع التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى في مسائل التشريع والأحكام كلها، و لرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والاتباع.

الفرع الثالث: التعريف بالحديث لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الحديث لغةً: هو الجديد من الشيء وجمعه أحاديث، وهو ما يقابل القديم. والحديث هو الكلام الذي يتم الحديث به، ونقله بالصورة والكتابة كذلك، وله مسميات عدة، منها الخبر الذي يقصد به النبأ، وهو الأثر أو بقية الشيء[23].

ثانياً: الحديث في الاصطلاح الشرعي: هو:" ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفه خلقية أو خلقية" [24]. وقد أتفق جمهور العلماء على أن الحديث أو الخبر هو: ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما الأثر فهو ما روي عن الصحابة والتابعين"[25].

ثالثاً: لفظ "أربع" في الحديث يقصد بها خصال أربع، أو صفات أربع مذمومة لأنها من أمور الجاهلية. ولفظ "أربع" ليس للحصر، لأن هناك أشياء تشاركها في المعنى، وإنما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب حصر العلوم وجمعها بالتقسيم والعدد، لأنه يقرب الفهم ويثبت الحفظ.

الفرع الرابع: التعريف بلفظ الأمة لغةً واصطلاحا وأقسامها:

أولاً: المقصود بالأمة لغةً:

أمّة: اسم، والجمع: أمم، والأمّة: الوالدة، والأمّة: الجيل، والأمّة: الرجل الجامع لخصال الخير.

والأمة هي: جماعة من الناس تجمعهم روابط تاريخية مشتركة، قد يكون فيها ما هو لُغويٌ أو دينيٌ أو اقتصاديٌ، ولهم أهدافٌ مشتركة في العقيدة أو السياسة أو الاقتصاد.

وخلاصة القول:

بأن الأمة هي: كلمة عربية تعني المجتمع، وكذا كالأمة الإسلامية، وتسمى كذلك بأمة محمد، وأمة سيد ولد آدم، وأمة الإسلام، وأمة التوحيد، وأمة الإيمان، وأمة المسلمين، وتعني(المجتمع الإسلامي) وتستخدم عادة لتعني المجتمع الجماعي للمسلمين.

والأمة تعني لغوياً: الجماعة من الناس التي تؤم جهة معينة[26].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للأمة:

ورد لفظ أمة في القران الكريم بمعان عدة أهمها وأبرزها خمسة معان، نوضحها في الآتي:

المعنى الأول: ورد مصطلح (الأمة) ليدل أن الأمة هي: إنسان + رسالة.

1 - الرسالة هنا هي: مثل أعلى يقدم النموذج الأمثل للجوانب الخيرة في سلوك الفرد والجماعة، ليأتم به الناس ويسعدوا. ويقدم الصورة الشاملة للجوانب الشريرة ليتجنبها الناس ويسلموا من آثارها. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الرسالة في مواضع عديدة باسم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

2 - الإنسان: وأما عن الإنسان فقد يكون فردا واحدا، فيكون لفظ (الأمة) بمعنى الامام أو قدوة كما في قوله تعالى:(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {النحل/ 120}). فمن قوله (أمّة) أي أنه كان قدوة في الخير، كما نقل عن أكثر المفسرين والسلف، ويجوز أن يكون المعنى في هذه الآية: أنه كان أمة وحده، لأنه لم يكن في الأرض مؤمن سواه، وهذا المعنى جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء عن سعيد بن جبير.

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: قال ابن مسعود - رضي الله عنه -:" إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً. فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى:(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا... {النحل/120})، فقال تدري ما الأمة وما القانت؟ قلت: الله أعلم. قال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كان معلم الخير وكان مطيعاً لله ولرسوله" [27].

ومثل قوله - صلى الله عليه وسلم - في زيد بن عمرو بن نفيل:" يبعث أمة وحدة" [28]، لأنه لم يشرك في دينه شيئاً" [29]. وقد يكون الإنسان جماعة من العلماء والدعاة الذين يحملون رسالة إصلاحية، مثل قوله تعالى:(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {آل عمران/104}).

وقد يكون الإنسان طائفة أو قبيلة، له معتقدها ونهجها، مثل قوله تعالى:(وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا {الأعراف/160}). وقوله تعالى أيضاً:(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ.. {الأعراف/168}). وقد يكون الإنسان جيلاً له فكر واحد ولون حضاري واحد، مثل قوله تعالى:(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {البق رة/134}).وقوله - صلى الله عليه و سلم- في جيل الصحابة الذي رباه:" إن لكل أمة أجلاً، وإن لأمتي مائة سنة، فاذا مرت على أمتي مائة سنة أتاها ما وعدها الله" [30].

وقد يكون الإنسان مجموعة متميزة بالتزامها مثل الرسالة ومبادئها، مثل قوله تعالى:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ....{آل عمران/ 110}). وقد يتسع مفهوم الإنسان حتى يشمل الإنسانية كلها إذا اجتمعت على فكرة واحدة، ومنهاج واحد، مثل قوله تعالى:(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ.....{يونس/ 19})، وقوله تعالى:(وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {الزخرف/33}).

المعنى الثاني: الأمة بمعنى المدة من الزمن، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ {يوسف/ 45})، أي بعد زمن. وقال تعالى:(وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ....{هود/ 8})، أي إلى وقت محدود، فقد تطلق الأمة ويقصد بها: الزمن، وهنا نلحظ نوعاً من الترابط بين الأمة وبين الزمن، لأن الأمة لها زمن تنتهي فيه، ولهذا يقول الله تعالى:(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ.... {الأعراف/34})، فكأن المعنى أخرنا عنهم العذاب إلى أجل.

المعنى الثالث: الأمة بمعنى المذهب والطريقة، ومنهاج حياة سواء، كانت حقاً أم باطلاً، كما في قوله تعالى:(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ... {الزخرف/ 22})، وقوله تعالى:(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ..... {الزخرف/ 23})، يعني على طريقة ومنهج وإن كان منحرفاً وضالاً، لكنهم التزموه، لأنهم وجدوا عليه الآباء والأجداد.

المعنى الرابع: الأمة هي الجماعة من الناس أو الطائفة، حتى ولو كانت قليلة، فتسمى أمة، كما في قوله تعالى:(وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ..... {القصص/ 23})، أي جماعة، وكذلك قوله تعالى:(... كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا....{الأعراف/38})، أي طائفة أو جماعة.

المعنى الخامس: إن الأمة في القرآن تطلق ويراد بها القوم المجتمعون على الدين الواحد، قال تعالى:(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...{البقرة/213})[31].

وخلاصة القول: من خلال ما سبق في المعنى الاصطلاحي المتكامل للأمة أنه يتضمن العناصر الآتية:

الأول: العنصر البشري مع وجود الرسالة الهادية. الثاني: العنصر الزمني. الثالث: العنصر الفكري.

الرابع: العنصر الاجتماعي. الخامس: عنصر الأمة الواحدة والدين الواحد.

وعليه نقول بأن الأمّة: هي مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة، وتظل تحمل صفة الأمة ما دامت تحمل هذه الصفات. أما حين تفقدها، فقد يطلق عليها اسم الأمة ولكنها لن تكون النموذج الإسلامي للأمة تماماً، كما يطلق اسم دين على أي دين، ولكن الدين المقبول عند الله هو الإسلام.

ثالثاً: أقسام الأمة باعتبار البلاغ والاتباع:

سنتكلم في هذا عن أقسام الأمة باعتبار البلاغ والاتباع، وقبل بيان الأقسام لابد أن نعرف بأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشمل جميع الثقلين (الجن والأنس)، وبيان الأقسام كالآتي:

القسم الأول: أمة الدعوة: فكلهم مدعوون، وكلهم مكلفون بتوحيد الله وطاعته، مأمورون باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما نهى عنه -أنسهم وجنهم-، قال الله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... {الأعراف/ 158})، وقال سبحانه:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.... {سبأ/ 28})، وقال صلى الله عليه وسلم: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة. [32] وهذا القسم يشمل كل مسلم وكافر.

القسم الثاني: أمة الإجابة: وهم الذين أجابوه، وهم أهل الإسلام بشكل عام، ويشمل هذا القسم أهل المعاصي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم المقصرين والمفرطين في الطاعات كما تشملهم الآية العامة في خيرية الأمة، في قوله تعالى:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ..... {آل عمران/110}).

القسم الثالث: أمة الاتباع: وهم أهل الاتباع والاقتداء والاقتفاء لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم المطبقين لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن تنطبق فيهم الآية الكريمة انطباقاً كلياً قال تعالى:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ...{آل عمران/ 110})، فمن سمع الدعوة وعلم بها ولم يجب فإنه يكون من أهل النار لقوله صلى الله عليه وسلم:"

والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار" [33]. ومن اتبعه وسار على نهجه في توحيد الله وطاعته فهو من أمة الإجابة وأمة الإتباع، وهم ممن يرجى لهم الجنة والثواب، مع التفاوت في درجاتهم عند الله عز وجل.

الفرع الخامس: مفهوم الأمر الوارد في الحديث:

(من أمر الجاهلية): الأمر واحد الأمور، وليس واحد الأوامر، لأن واحد الأوامر طلب الفعل على وجه الاستعلاء. ويقصد به هنا أمر من الأمور، وهي الشأن، والحال، والطريقة.

وإضافة الأمر إلى الجاهلية الغرض منها:

1 - التقبيح والتنفير.

2 - بيان أن هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان، إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها. فالذي يعتني بها جاهل، ويكون في ضلال عظيم، حتى إن العرب كانوا من أجهل خلق الله قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

فالمراد بهذا الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم التنفير، والتقبيح لهذه الأمور، وبيان أنها من أمور الجاهلية لأنه صلى الله عليه وسلم قد يخبر بأشياء تقع وليس غرضه أن يؤخذ بها فهي مجرد إخبار للحذر منها لا أمراً بفعلها، كما قال صلى الله عليه وسلم:" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال فمن". [34] أي فاحذروا من متابعة أهل الأهواء والبدع من اليهود والنصارى الذين بدّلوا دينهم.

الفرع السادس: التعريف بلفظ الجاهلية لغةً واصطلاحا:

أولاً: الجاهلية لغةً: مأخوذة من الفعل (جهل)، والجهل معناه: خلاف العلم.

يقول الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: خلو النفس من العلم، الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل.

وقد وردت مشتقات الكلمة في القرآن الكريم بمعنى:

1 - الخلو من المعرفة، كقوله تعالى:(......يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ...{البقرة/273}).

2 - الطيش والسفه، كقوله تعالى:(قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ {يوسف/89}).

3 - بمعناهما معاً، كقوله تعالى:(......مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ {الأنعام/111}) [35].

ثانياً: مفهوم الجاهلية اصطلاحاً:

اصطلح المؤرخون على أن لفظ الجاهلية (قد يكون اسماً للحال، ومعناها الصفات المرذولة التي كانت عليها الأمة قبل الإسلام من الجهل بالله وبرسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر، وغيرها، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية) [36]، أي: حال أو طريقة أو عادة جاهلية أو نحو ذلك).

وقد يكون اسماً لذي الحال، أي الزمان ومعناها: المدة التي كانت قبل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل: ما قبل الفتح، وقيل: ما كان بين مولد النبي - صلى الله عليه وسلم- والمبعث. وبهذا قال ابن حجر، ومنه قول الله تعالى:(.....يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ... {آل عمران/ 154})، وذلك لما كان عليه

العرب من فاحش الجهالات في العقيدة والعبادات والتشريع والمعاملات والأخلاق التي انتقلت إليهم وشاعت بينهم وتأصلت في نفوسهم حتى صارت ديناً حل محل الحنفية السمحة.

وعلى هذا نقول: طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي، نسبة إلى الجهل، لأن من لم يعلم الحق فهو جاهل، فإن اعتقد خلافه أو قال بخلاف الحق عالماً به أو غير عالم فهو جاهل، كقوله تعالى:(.....وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {الفرقان/ 63})، وقوله صلى الله عليه وسلم (إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل)[37]، أي: لا يعمل بعمل الجاهلية من السفه، والغضب، والأنفة، والحمية، والمفاخرة، وكذلك من كان عمله بخلاف الحق فهو جاهل وإنما علم أنه مخالف للحق، كما قال تعالى:(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ......{النساء/ 17})، لأن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر عنه ما يخالفه من قول أو فعل، فإن صدر ما يخالفه كان جهلاً، وعلى ذلك كان الناس قبل الهجرة النبوية في جاهلية وكل ما يخالف ما جاء به المرسلون من أفعال اليهود والنصارى، وتلك كانت الجاهلية العامة. أما بعد البعثة فقد مضى زمانها بمجيء الإسلام وإن بقيت أحوالها، وعاداتها بين الإطلاق والتقييد.

فالمطْلَقة: قد تكون في بلد دون بلد، كما هي في غير ديار الإسلام، وقد تكون في بعض الأشخاص دون بعض، كالرجل قبل أن يسلم وإن كان في دار الإسلام.

والمقيدة: قد تكون في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم:" أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[38]. فهذه كلها من أمور الجاهلية التي يجب الابتعاد عنها والحذر منها. كما لا يصح مطلقاً أن يوصف المجتمع المسلم بأنه جاهلي، بخلاف الأفراد، فإنه يمكن إطلاق لفظ الجاهلية على الشخص إن وقع في فعل أو أمر جاهلي[39].

وخلاصة القول في تعريف الجاهلية اصطلاحاً: هي عبارة عن الطريقة والشأن والحال والصفات المذمومة المشينة المنافية للإسلام وشرائعه كلياً أو جزئياً مطْلَقة أو مقيّدة.

الفرع السابع: التعريف بالأثر، والتعريف بالمسلم لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الأثر لغةً واصطلاحاً:

1 - الأثر لغةً: مفرد آثار، وهو: ما بقي من رسم الشيء ونتج عنه، فهو بمعنى النتيجة، ويكون أيضاً بمعنى العلاقة[40].

2 - الأثر في الاصلاح: فهو مفرد الآثار: وهي اللوازم المعللة بالشيء [41]، أو جملة الأمور التي تنتج عن الشيء المسبب لها. والمراد بها هنا: أن الأثر: (عبارة عما ينتج من ضعف الإيمان القلبي وفساد ذلك بسبب ما يتلفظه العبد أو يعمله أو يعتقده). أو نقول هو: مجموعة الأمور التي تحصلت في النهاية عما يلتزمه العبد أو يصدر منه من أقوال أو أفعال أو اعتقادات باطلة هي من أمر الجاهلية).

ثانياً: التعريف بلفظ المسلم لغةً واصطلاحاً:

1 - المسلم لغةً: مأخوذ من سَلِمَ، بمعنى: انقاد وخضع فسَلِمَ من الإباء والامتناع[42].

2 - المسلم في الاصطلاح هو: من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وأتى بالعمل الظاهر....، ولكن هذه الأعمال الظاهرة لا تكون نافعة لمن قام بها عند الله تبارك وتعالى إلا إذا كان عنده من الإيمان القلبي ما يصحح إسلامه[43].

وخلاصة القول في التعريف الإجرائي لعنوان البحث هو: (المعاني العقدية في حديث الأربع في الأمة من أمر الجاهلية وما ينتج عن ذلك من أثر على المسلم في ضعف الإيمان وفساد المعتقد).

المطلب الثاني: الدلالات العقدية في الحديث الوارد:

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطرانٍ، ودرعٌ من جربٍ))[44].

في الحديث النبوي ذكر (الأمة) و يعني بذلك مجموعها، وليس في كل واحد منها، بل يوجد في مجموعة الأمة. ولفظ الجاهلية: نسبة إلى الجهل، وليست إلى أشخاص معينين أو زمن معين، فكلما كان مخالفاً للحق، مخالفاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو جاهلية، سواء كان زمنه قديماً أم جديداً.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم حرصاً شديداً على إخراج أمّته من الجاهلية بكل ما فيها من شرور، وآثام وشرك إلى الإسلام وشرائعه، وما فيه من خير وتوحيد، وفي هذا الحديث يرصد النبي صلى الله عليه وسلم أموراً كانت ولا تزال عالقة ببعض الناس يأتون بها وهي من أمور أهل الجاهلية، فحذَّرنا منها، وبين أن من أتى بواحدة منها فقد أتى بإحدى الصفات الجاهلية، ولا بدَّ له من تركها إلى ما شرعه الإسلام فيها وفي أمثالها.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن المعاصي ومسائل الشرك وأمور الجاهلية تُحدث أثراً عظيماً في القلب، ينتج عنه البُعد عن الله - عز وجل- ويغطي الران على القلب فيظلم، وتضعف بصيرته كما تزداد فيه مادة الشر، وتتوجه الإرادات إليه، وبذلك تنهد الأسوار المنيعة التي كانت تحوط القلب، وتحصنه من مخططات ووساوس شياطين الإنس والجن، بل إنه يصبح مقبلاً عليها طالباً لها، بقدر ما فيه من الشر والظلمة.

ومن أعظم أسباب تكفير الذنوب، و تطهير القلوب "توحيد الله" - عز وجل - ويتحقق ذلك بالتخلي عن أدران الشرك والإلحاد، وكل أمور الجاهلية، ثم التحلي بكلمة التوحيد الخالص، قال الله تعالى:(......فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {البقرة/256}).

قال ابن رجب - رحمه الله-:(من أسباب المغفرة التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرج منه كل ما سوى الله، محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً وخشيةً ورجاءً وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات)[45].

وفي هذا دلالة واضحة على أنه لا حظ. لغير الموحد في رحمة الله - عز وجل- الموجبة لمغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب ودخول الجنة، لأن الشرك يعمل عملاً يضاد عمل التوحيد، وأمور الجاهلية تصادم

حقيقة الإسلام وشرائعه، فالتوحيد يكفر السيئات، والشرك يحبط الحسنات، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {الزمر/ 65})، فالتوحيد هو الشرط الأساسي لانتفاع العبد بأعماله الصالحة في مجال تكفير الذنوب وغيره، والتوسل به هو أبرك التوسلات النافعة في حصول المغفرة واستجابة الدعاء، لذلك توسل به ذو النون - عليه السلام - وهو في تلك الشدة الرهيبة، كما أخبرنا الله تعالى بقوله:(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {الأنبياء/ 87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ {الأنبياء/88}).

وما ورد في هذا الحديث هو تحذير من سلوك أمور الجاهلية، وكل طريق موصل إلى مسالك الشرك والكبر والتفاخر واحتقار الآخرين، والتنقص بمخلوقات الله - عز وجل- والحث على سلوك الإسلام وشرائعه الناصعة، وترك ما سوى ذلك. ولذا سنبين الدلالات العقدية الواردة في الحديث في الفروع الآتية:

الفرع الأول: إثبات النهي عن التنقص بعباد الله ونبذ الكبر والتفاخر:

أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بخصال هي من الجاهلية، فمن تلك الخصال (التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب).

فالحسب: هو الشرف الثابت للإنسان أو لآبائه، أو ما يعدله من المآثر والمناقب.

والنسب: هو ما يميز الإنسان عن غيره من أب وأم وحي وقبيلة و بلد.

وقد كان العرب في الجاهلية يتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم، ويطعنون في أنساب غيرهم، وكانوا يحفظون الأنساب، ومآثر الأجداد للتفاخر بها، كما يحصل على ألسنة الشعراء في الأسواق[46].

أولاً: في الحديث دلالة على النهي عن التنقص بعباد الله ونبذ الكبر والتفاخر:

فبقاء مثل هذه الخصال الجاهلية في أمه الإسلام لا يعني أنه أصبح أمراً مقبولاً، أو واقعاً محتوماً يعذر المسلم فيه إذا سايره، أو انخرط فيه، فليس ذلك مقصود هذا الإخبار النبوي، بل القصد فيه تحذير الأمة من الاستمرار في اتباع تلك العادات الجاهلية و الانسياق خلف دعواها الباطلة.

وليس معيباً أن يحفظ الإنسان نسبه و حسبه، لكن الزلل يكمن في أن يعتقد أن ذلك هو معيار التفاضل بين البشر، أو أن يتخذ ذلك سبباً للتعالي والتكبر على الآخرين، أو التفريق بين عباد الله المسلمين، فيصنفهم إلى طبقات وفئات تفصل بينهم حواجز النسب وعوازل الحسب، إنه ليس مسوغاً للإنسان أن يفتخر على غيره بما كان من خاصَّة كسب يده، فما بالك بما لم يكن من كسبه في شيء، وما لم يكن له أثاره من جهد فيه.!!

إن انتساب الشخص إلى قبيلةٍ معروفةٍ نعمةٌ خالصةٌ من الله، فهو سبحانه شاء لك ان تولد ابن فلان الفلاني، ولو شاء سبحانه أن تولد من غير ذلك النسب لنفذت مشيئته، وعليه فالنسب نعمة تستحق الشكر لا الفخر، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، حيث قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)[47].

وقد بيّن القرآن الكريم الحكمة من جعل الناس شعوباً وقبائل، فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

{الحجرات/13})، فالله سبحانه يقول:(لِتَعَارَفُوا)، وليس: لتفاخروا، ولا لتعاظموا، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال الله تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً، منبهاً إلى تساويهم في البشرية:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.... {الحجرات/13}).(أي ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته) [48].[49]. فتباين الناس في الأنساب لأجل التعارف فيما بينهم، والميزان في الأفضلية عند الله تعالى إنما هو على مقدار الاتصاف بالتقوى.

والمذموم أن يكون ذلك مدعاة لتصنيف الناس، والتنقص منهم والتكبر عليهم، ويكون الولاء على مبدأ الحسب والنسب، وكذلك المعاداة. والله سبحانه قد وضع الميزان القسط لذلك، فجعل أكرم الخلق عنده أتقاهم من أي شعب كان، وإلى أي قبيلة تنتمي، قال تعالى:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ... {الحجرات/13}).

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر نسبه على سبيل الافتخار والاستعلاء، ولهذا كان يقول (ولا فخر). وإن مما يؤيد هذا ويؤكده ما ورد من آيات وأحاديث تذم الفخر والتفاخر: منها، قال الله تعالى:(.....إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {لقمان/18})، وقال سبحانه:(.....وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {الحديد/ 23})، وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {الحجرات/11}).

وإنّ من أعظم البغي تطاول عباد الله بعضهم على بعض، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:(ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، مثل البغي وقطيعة الرحم)[50].

ويقول عليه الصلاة والسلام:(إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليَدَعنّ رجالٌ فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجِعْلان[51] التي تدفع بأنفها النَّتْنَ[52]).

فهذه الآيات والأحاديث تشمل نهياً مؤكداً عن أمور الجاهلية من التفاخر بالأحساب والطعن في أنساب الناس، واحتقارهم، وتسميتهم بألقاب يكرهونها، وأنها من عادات الجاهلية الأولى المنافية للدين، لما تسببه من تباغض وتنافر بين المسلمين، واحتقار لخلق الله عز وجل.

فعلى المسلم أن يعمل جاهداً على نبذ أمور الجاهلية، وأن يسعى لما يكرمه الله بالتقوى والعمل الصالح والتواضع. ثانياً: في الحديث دلالة على وقوع السالك في أمور الجاهلية (بالفخر بالأحساب والطعن في الأنساب) وقوعه في الشرك في أسماء الله وصفاته، لأن الفخر والكبرياء لا يكون إلا لله - عز وجل -.

فصفة الكبر هي لله عز وجل، ولا تكون لأحد من عباده، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه - عز وجل -:(الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) [53]. فالكبرياء صفة من صفات الله - عز وجل، ولا ينازع الله في ذلك، وهو رداء لله عز وجل، والمتكبر بمنزلة من ينازع الله تعالى رداءه.

وخطر ذلك كبير على العبد لقوله صلى الله عليه وسلم:(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) [54]، وقال صلى الله عليه وسلم:(ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا اخبركم بأهل النار؟ كل عتل [55]جواظ[56] مستكبر)[57]، وقال صلى الله عليه وسلم:(الكبر بطر الحق وغمط الناس) [58]. والغمط: هو الاحتقار، وبطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً و تجبراً [59]. والكبر: خلق باطن، والأفعال ثمرته ونتيجته [60]، ولذلك فإن منبعه الإعجاب بالنفس. قال الإمام النووي - رحمه الله- (الكبر المعروف: هو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق) [61]. فالفخر بالأحساب والطعن في الأنساب هو شعور يحدث - عند من يسلك ذلك - بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء، و على المكانة التي يجد المستكبر و المفتخر على الآخرين نفسه فيها داخل مجتمعه[62]. وهذا كله راجع إلى صفة الكبر الكامنة في نفسه.

فالتكبر علي البشر، واستصغارهم والشعور بالاستعلاء، والأفضلية عليهم بما يتمتع به من خصائص جسمية، أو مالية، أو علمية، فيحس في نفسه بالشموخ، وأنه في العلياء وغيره دونه، وإن كانوا أفضل منه بما فضلهم الله به عليه، هو من أمور الجاهلية المنهي عنها. فقد جاء الإسلام ينهى عن ذلك، ويزجر عن ذلك، ويتجلى ذلك ويتضح في توجيهاته العديدة، حيث قال صلى الله عليه وسلم:(و إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد)[63].

فالكبرياء والتفاخر صفة من صفات الله عز وجل، ومنازعة الله في ذلك شرك في صفة من صفاته سبحانه. والطعن في الأنساب واحتقار العباد فيه تنقص بما خلق الله وأوجد، وكأن الطعان في النسب والمحتقر لمخلوق من عباد الله عز وجل يعترض على الله في خلقه وإيجاده وتكوينه.

الفرع الثاني: إثبات النهي عن الشرك في أنواع التوحيد:

إن توحيد الله عز وجل هو أول واجب على العباد، ولابد من شمول عقيدة العبد المسلم لأنواع التوحيد كلها (توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات). فتوحيد الله بأفعاله، وما يتصف به سبحانه يسمى: توحيد المعرفة والإثبات – (الربوبية، والأسماء والصفات) - وهو يقتضي علم العبد واعترافه واعتقاده وإيمانه بتفرد الرب -سبحانه وتعالى- بالخلق والملك والتدبير.

وبما وصف به نفسه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم. وهو يستلزم توحيد الطلب والقصد – (توحيد الألوهية) - وهو توحيد الله بأفعال العباد، ويقتضي إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة بأنواعها عن كل ما سوى الله عز وجل كائناً من كان وهو يتضمن توحيد الربوبية، كما أن توحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الربوبية والألوهية.

فالعلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة علاقة (تلازم، وتضمن، وشمول).

فحقيقة التوحيد هي: إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات. أما وجه الارتباط بين مفهوم التوحيد، ومفهوم الإيمان هو الآتي:

أولاً: مفهوم التوحيد قام على أصلين اثنين هما:

الأول: إفراد الله تعالى بالربوبية والأسماء والصفات، وهذا النوع هو الاعتقاد القلبي.

الثاني: إفراد الله تعالى بالعبادة وهو عمل القلب، وعمل الجوارح.

ثانياً: مفهوم الإيمان يتمثل في الآتي:

الأول: قول القلب وهو: التصديق الجازم بأصول الإيمان.

والثاني: قول اللسان وهو: النطق بالشهادتين والذكر، وعمل القلب كالإخلاص والمحبة، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام، ويلاحظ أن بين أجزاء الإيمان السابقة تلازماً قوياً، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة، لذلك فلا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان ذلك سبباً لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم، وإن كان أصله في القلب وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب، بل لابد معه من الأعمال الصالحة.[64]

فمعرفة حقيقة التوحيد والإيمان تجعل العبد المسلم يلتزم بذلك، ويبتعد عن أمور الجاهلية المنافية والمناقضة للتوحيد والمنقصة له، حتى يكون العبد المسلم صاحب معتقد سليم.

وإذا كانت أنواع التوحيد متلازمة فكذا القدح في أحدها قدح في باقيها. فأنواع الشرك فيها متلازمة فإذا وقع الشرك في أحدها وقع في باقيها.

ولهذا سنبين ما دل عليه حديث النبي صلى الله عليه و سلم المحذر من الوقوع في أمر الجاهلية من الشرك في قوله صلى الله عليه و سلم:(والاستسقاء بالنجوم).

ففي الحديث دلالة على الوقوع في الشرك في أنواع التوحيد. وقد وردت أحاديث توضح ذلك وتؤيده منها: عن زيد بن خالد الجهني - رضي الله - عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء من الليل، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال:(هل تدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:(أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[65].

أولاً: الاستسقاء بالنجوم هو: شرك أكبر في الربوبية:

فمن ينسب حصول الأمطار إلى الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها من دون الله تعالى فهو شرك أكبر في الربوبية. لأنه اعتقد بوجود متصرف غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل أو اعتقاد وجود مشارك لله في الخلق أو الملك أو التدبير.

ثانياً: الاستسقاء بالنجوم هو: شرك أكبر في توحيد الأسماء والصفات:

فمن اعتقد بوجود مشارك لله عز وجل في صفاته فهو شرك أكبر في أسماء الله وصفاته، لأن الله الخالق وله صفة الخلق، وأن الله المالك وله صفة الملك، وأن الله المدبر للكون المتصرف فيه كيف يشاء، ولا متصرف معه غيره، ولا شريك ولا ند له – سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الاستسقاء بالنجوم هو شرك أكبر في الألوهية:

فدعاء الأنواء بالسقيا، كأن يقول: يا نوء كذا أسقنا وأغثنا، وما أشبه ذلك، يعد شركاً أكبر في الألوهية، لأنه دعاء غير الله، و دعاء غير الله من الشرك الأكبر. فإن توحيد الألوهية هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، والدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة [66]، قال تعالى:(وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {المؤمنون/ 117})، وقال تعالى:(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا {الجن/18})، وقال تعالى:(وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ {يونس/106}).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على النهي عن دعاء غير الله وأنه من الشرك الأكبر [67]. وهذا مسلك من مسالك الجاهلية فقد كانوا إذا مُطروا يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وينسبون الأمطار إلى الكواكب.

رابعاً: الاستسقاء بالنجوم هو شرك أصغر:

فمن جعل النجوم والأنواء سبباً في نزول الأمطار، مع اعتقاده بأن الله هو الخالق الفاعل فهذا شرك أصغر لأنه جعل النجوم سبباً في نزول الأمطار، وكل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركاً أصغر [68]. فنسبة المطر إلى النوء على أنه سبب وليس إلى النوء على أنه فاعل.

خامساً: إذا جعل النجوم والأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليها لا قولاً، و لا فعلاً ولا اعتقاداً فهو جائز [69]، كأن يقول القائل: مطرنا في نوء كذا وكذا. أي: مطرنا في موسم كذا.

وخلاصة القول في (الاستسقاء بالنجوم):

أن نسبة المطر إلى النجم والنوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: نسبة إيجاد، وهذا شرك أكبر.

الثاني: نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

الثالث: نسبة وقت، وهذه جائزة، والمراد فيها جاءنا المطر في هذا النوء أي في وقته. ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز القول: في نوء كذا، وفرقوا بينهما: أن الباء للسببية، وأن في للظرفية.

الفرع الثالث: إثبات النهي عن ناقض الإيمان بالقدر:

الخصلة الرابعة من خصال أهل الجاهلية هي (النياحة على الميت)، وقد كُنّ نساء العرب في الجاهلية يبكين ويصرخن ويدعون على أنفسهن بالويل والثبور نحو: واجبلاه، واسنداه إذا مات لهن زوج أو أخ أو قريب، فنهى الإسلام عن ذلك وحذر منه.[70]

فالواجب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، وعدم التسخط عند حصول المصائب، كما يفعل أهل الجاهلية.

فالقدر ركن من أركان الإيمان: والإيمان به واجب، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مربياً ومزكياً لنفوس أصحابه، وهي المهمة التي شرفه الله سبحانه بها، وتتجلى هذه التزكية، بأوضح صورها من خلال وصيته التي تعد بحق نموذج العلاج النبوي لأمراض النفوس، وتدريبها عملياً على التسليم لقضاء الله وقدره والرضا به. قال صلى الله عليه وسلم:(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).[71]

وفي الحديث النبوي يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أراد نيل محبة الله، ورضوانه فعليه أن يبادر إلى تقوية إيمانه ومجاهدة نفسه، وطلب القوة في العلم والجسم، وغير ذلك من عناصر القوة النافعة التي تتضافر جميعها لتكوين شخصية المسلم الذي يحبه الله سبحانه، ولكي يحظى المسلم بذلك فلابُدّ له من الأخذ بوصية النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في هذا الحديث، وهي: أن يحرص على ما ينفعه، ويطلب العون من الله سبحانه ولا يعجز، وأن يسلم أمره لله فيما قدر له، فلا يسخط ولا يشتكي من المصائب، ولا يدع للشيطان مدخلاً بقوله: لو أني فعلت كذا وكذا، فكلمة (لو) تجلب الحسرة والأسى، وتزيد اللوعة، وتورث القلق والاضطراب، ولن يستطيع إعادة ما فات، ولا إحياء من مات مهما تحسر، وإنما

سيجلب لنفسه الكآبة ولجسمه الأمراض والآلام، ويتعرض لغضب الله، باعتراضه على قدره، فالعلاج العملي أن يقول: قدر الله وما شاء فعل، معلناً استسلامه لأمر الله، ورضاه بقضائه، وأن يعّود لسانه على هذا القول كلما ناله شيء يكرهه.[72]

فالنياحة من أمر الجاهلية، ووجدت في هذه الأمة، وإنما كانت من أمر الجاهلية إما من الجهل الذي هو ضد العلم. أو من الجهالة التي هي السفه، وهي ضد الحكمة.

وإنما كانت كذلك لأمور، هي:

1 - أنها لا تزيد النائح إلا شدة وحزناً وعذاباً.

2 - أنها تسخط من قضاء الله وقدره و اعتراض عليه.

3 - أنها تهيج أحزان غيره.

وقد ذكر عن ابن عقيل - رحمه الله - أنه خرج في جنازة أبنه عقيل وكان أكبر أولاده وطالب علم، فلما كانوا في المقبرة صرخ رجل وقال:(قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ {يوسف/78})، فقال له ابن عقيل - رحمه الله - إن القرآن إنما نزل لتسكين الأحزان، وليس لتهييج الأحزان.

4 - أنه مع هذه المفاسد لاَ يُردُّ القضاء، ولا يرفع ما نزل.

والنياحة تشمل ما إذا كانت من رجل أو امرأة، لكن الغالب وقوعها من النساء، ولهذا قال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها) أي: إذا تابت قبل الموت، تاب الله عليها، وظاهر الحديث أن هذا الذنب لا تكفره إلا التوبة، وأن الحسنات لا تمحوه، لأنه من كبائر الذنوب، والكبائر لا تمحى بالحسنات، فلا يمحوها إلا التوبة)[73].

وخلاصة القول هو الحكمة أن النائحة لما لم تُغطِّ المصيبة بالصبر غُطيت يوم القيامة بسربال[74] من قطران، ودرع من جرب[75]، فكانت العقوبة من جنس العمل.

فنجد أن النياحة من كبائر الذنوب بوجود الوعيد عليه في الآخرة، وكل ذنب عليه الوعيد في الآخرة، فهو من الكبائر.

وأن كبائر الذنوب لا تكفر بالعمل الصالح لقوله صلى الله عليه وسلم:(إذا لم تتب قبل موتها).

وأن من شروط التوبة أن تكون قبل الموت، لقوله صلى الله عليه وسلم:(إذا لم تتب قبل موتها)، ولقوله تعالى:(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ....{النساء/18}).

والنياحة أيضاً فيها اعتراض على أقدار الله وقضائه، وإظهار التسخط من النائحة على تلك الأقدار.

المطلب الثالث: أثر أمور الجاهلية على عقيدة المسلم:

أمور الجاهلية سبب من أسباب انحراف المسلم عن المعتقد الحق الذي يجب أن يتمسك ويحافظ عليه العبد المسلم. وقد يبتلى العبد المسلم بما يسلكه من أمور الجاهلية والتأثر بها، وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأربع من أمر الجاهلية نجد أن لهذه الأربع أثراً بالغاً على عقيدة المسلم وحياته وأخلاقه مع الآخرين من بني الإنسان، وما يخص عقيدته الذاتية - الخاصة بين العبد وربه - فالآثار الناتجة عن أمور الجاهلية الواردة في الحديث تتمثل في شيئين رئيسيين وكلاهما يكون سبباً لظهور قوادح في الدين الإسلامي، فالأثران هما:

أولاً: ضعف الإيمان. ثانياً: ظهور العصبية في أمه الإسلام. وسنبينهما تفصيلاً في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: ضعف الإيمان:

إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح، وكماله. وكما أن للإيمان الصحيح من الفوائد المغدقة، والثمار اليانعة، والجنى اللذيذ، والأكل الدائم، والخير المستمر، أمور لا تحصى، وفوائد لا تستقصى عاجلة وآجلة.

فالإيمان يحيى العبد حياة طيبة في الدارين، وبه ينجو من المكاره والشرور والشدائد، ويدرك جميع الغايات والمطالب، وينال ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها من النعم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وينجو من نار عذابها شديد، وقعرها بعيد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم، وما ثمة مطلقاً نعيم أعظم، ولا أكمل من هذا النعيم.

وبالجملة فالخير كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والدمار والشر كله إنما يكون بفقد الإيمان ونقصه وضعفه [76]، فبضعف الإيمان يكون الانحراف عن الحق، وظهور العقائد الباطلة، والزيغ والضلال. وتفاصيل الأثر في هذا كما يأتي:

أولاً: ضعف الإيمان يكون سبباً في ظهور العقائد الباطلة والظنون السيئة:

فتقوية الإيمان وكماله يجعل العبد المسلم ممتثلاً لجميع المطالب الإلهية، فبذلك يتبرأ من العقائد الباطلة والظنون السيئة ويبتعد عنها، أما إذا ضعف إيمان العبد فإنه يؤثر تأثيراً كبيراً في عدم تحقيق هذه المطالب، لأنك تجد العبد المسلم لا يستقي علمه، وتسيير نهج حياته كلياً من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فالعلم الشرعي هو المؤسس والمغذي - بإذن الله - للعقائد الصحيحة، والعواطف السليمة.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:(قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك في الاعتقادات والإرادات فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبةً لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع).[77]

والظنون السيئة لها علاقة بالضلال عن المعتقد الحق بما في ذلك انحراف في توحيد الربوبية والأسماء والصفات متولداً عن ظن سيئ برب العالمين، وكذلك الانحراف في توحيد الألوهية متولد عن ظن سيئ قائم في قلوب المنحرفين.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-:(وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا،...، وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته....).[78]

ثانياً: ضعف الإيمان يكون سبباً في التعلق بغير الله محبةً وتعظيماً:

أشار الله تعالى إلى العلاقة بين الحب والاعتقاد في سورة البقرة، فبين سبحانه أولاً أنه المتفرد بالذات المقدسة التي لا تساميها ذات أخرى لتفردها بصفات الكمال والأفعال الحميدة التي لا نقص فيها، كما بين أنه المتفرد وحده وأنه الإله الحق المستحق لجميع أنواع العبودية، قال الله تعالى:(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ {البقرة/163}).

فمن حقه سبحانه التعلق به وحده لا سواه، وأن يُحَبُ ويُعَظم ويُعَبد وحده لا شريك له، وقال تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ... {البقرة/165}).

وقد ذكّر الله عباده في كثير من الآيات بنعمه وآلائه عليهم، وكرر ذلك في كثير من السور، مع بيان الأدلة والبراهين على تفرده سبحانه في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولا يشركه في ذلك أحد. وعلى عجز غيره عن إحداث شيء من النعم التي لاتعد ولا تحصى لو حبسها الله عن عباده. وقد بيّن الله ذلك لعباده لكي يستثير عواطفهم لمحبته والتعلق به، وتوحيده والانقياد لطاعته، وأنه الصانع والمتصرف في الكون وحده لا شريك له.

ثالثاً: ضعف الإيمان يكون سبب لتعلق الران بالقلب ودرن المعاصي:

فقد جعل الله الإيمان سبباً لتكفير الذنوب والمعاصي، فكذلك ضعف الإيمان يكون سبباً لتعلق الران بالقلب ودرن المعاصي.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:(وأصل هذا كله أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع، وكلما كان أقرب من الله بعدت عنه الآفات. والبعد من الله مراتب بعضها أشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة، وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية، وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله).[79]

قال ابن عباس - رضي الله – عنهما: (إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق).[80]

فضعف الإيمان يهون المعاصي عند العبد، والمعاصي تقسي القلب، وتقوي العواطف الفاسدة التي هي من موجهات الإرادة، فيكون القلب مهيأ بما فيه من الدوافع للتفاعل مع المغريات الخارجية التي تزين له الشهوات، وتلبس عليه بالشبهات، وتكون استجابته لها بقدر ما في قلبه من الران والفساد.

رابعاً: ضعف الإيمان يكون سبباً لظهور العواطف الفاسدة:

العواطف تتعلق بالمحبوبات والمكروهات. وعواطف المحبة أو الكراهة تكون صحيحة إذا توجهت وجهةً صحيحة كمحبة الله تعالى، وكراهية الطاغوت، وتكون فاسدة إذا اتجهت وجهة فاسدة، كمحبة الباطل، وكراهية الحق.

ويمكن حصر أهم العواطف الفاسدة التي تقوم في قلوب الناس فينحرف سلوكهم عن الصراط المستقيم كما يأتي:

1 - حب التأله المتوجه لغير الله طلباً وتوسلاً واستغاثة واستسقاءً.

2 - الكبرياء والعزة والتفاخر، ومنازعة الله عز وجل في ذلك.

3 - الحقد والحسد، وهما مرضان نابعان من عاطفة الكراهة للمحقود عليه، والمحسود، وشهوة التشفي منه، واحتقاره، والطعن في نسبه وعرضه. فلضعف الإيمان أثر كبير في ظهور مثل هذه العواطف الفاسدة.

4 - حب الشهوات المحرمة.

خامساً: ضعف الإيمان يكون سبباً في فشو الحقد والحسد:

الحقد والحسد مرضان مصدرهما عاطفتا الكراهية والبغضاء للمحسود والمحقود عليه [81]. وقد يكون الدافع للحسد حب الذات، وكراهية أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل [82]. مظهراً تفاخره بالحسب والنسب، ناسياً أصل خلقته وبدايته، مستعظماً نفسه متفاخراً على غيره، ناسياً عظمة الله الخالق وعزته، وقدرته في كل شيء.

وهي صفة من صفات أهل الكتاب المذمومة في القرآن الكريم. قال الله تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ.. {البقرة/109}).

وقد قال صلى الله عليه وسلم في هذا:(لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث) [83]. وفي رواية:(وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله). [84]

سادساً: ضعف الإيمان يكون سبباً في ظهور صفات المنافقين:

إذا ضعف إيمان العبد تساهل العبد في ارتكاب بعض الأمور والاتصاف ببعض صفات المنافقين العملية (كالكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة لقوله صلى الله عليه وسلم:(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان). وفي رواية:(وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر). [85]

أما إذا خلا قلب العبد من الإيمان فعند ذلك يعتبر العبد سالكاً للنفاق الاعتقادي وهو إظهار خلاف ما يبطن، وقد بين الله حالهم في قوله تعالى:(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {التوبة/67}).

سابعاً: ضعف الإيمان يكون سبباً في حب الشهوات المحرمة، والاستهانة بالمعاصي:

ضعف الإيمان سبباً في حب الشهوات المحرمة، وعند ذلك تكون الشهوات المحرمة عاطفة مستقرة تقوم في القلب نحو أمر مضار مخالف للفطرة جاءت الشريعة بتحريمه.

والعواطف الجانحة المتوجهة إلى أمور مذمومة شرعاً هي ما غلب عليه اسم الهوى. قال تعالى:(فَأَمَّا مَن طَغَى {النازعات} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {النازعات/ 38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {النازعات/ 39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {النازعات/40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {النازعات/41}).

وقد يقع الإنسان في المهالك بسبب جريانه لإشباع شهوة من هذه الشهوات. حيث أن الشهوات هي أصول المعاصي والدافع إليها. وهي تختلف عن الران الناتج عن المعاصي فإن الشهوة تسبق الفعل وهي صفة لازمة، أما الران فهو أثر المعصية وناتج عنها.

فمن العواطف المستقرة في القلب بعد إضعافه تلك العواطف الفاسدة المهلكة منها:

1 - الحرص على المال، والشح فيه. لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:(واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحل محارمهم). [86]

2 - محبة الفواحش والمنكرات. كشهوة الزنا والسرقة، وشرب الخمر والمسكرات والمخدرات، وغيرها من المنكرات.

ولذا نقول بأن أثر الإيمان في تطهير القلب من محبة الفواحش والمنكرات يتجلى في أثر التوحيد الذي يعمر القلب بمحبة الله والخشية منه، وأن ذلك يتحقق بدراسة ومعرفة أسماء الله الموجبة لحبه وخشيته، واستشعار القلب لذلك.

كما يتجلى في أثر الصلاة وغيرها من العبادات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتحصين العبد لنفسه بالدعاء، والالتجاء إليه سبحانه، وطلب الحاجات منه وحده لا شريك له.

الفرع الثاني: ظهور العصبية في أمة الإسلام:

جاء الإسلام بالضياء والنور، والأمر الواضح، داعياً الأمة المحمدية إلى نبذ كل شيء يؤدي إلى تمزيق الأمة، وكل ما يؤدي إلى التناحر، والتباغض، والشتات لأمة الإسلام. وتفاصيل أثر العصبية في أمة الإسلام كالآتي:

أولاً: ظهور العصبية في الأمة تكون سبباً للافتراق في الدين:

فظهور العصبية في الأمة يؤدي إلى الافتراق في الدين، وتعدد الملل، مع تعصب أهل كل ملة لملتهم، ومتبوعيهم.

ثانياً: ظهور العصبية في الأمة تكون سبباً للانحراف عن المعتقد الحق:

فظهورها يؤدي إلى الضلال في الأمة الإسلامية بكافة أنواعه بدءاً بالمعصية، وانتهاء بالكفر، أو الانحراف عن المعتقد الحق جزئياً أو كلياً. قال الشاطبي رحمة الله:(ولقد زلّ- بسبب الإعراض عن الدليل، والاعتماد على الرجال – أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلوا عن سواء السبيل). [87] بل يمكن أن يقال إن معظم أتباع الباطل بأصنافه قد وقعوا فيه بسبب التعصب الذميم والتقليد الأعمى.

ثالثاً: ظهور العصبية في الأمة تكون سبباً لتقديس المقلَّد من المقلِّد:

فظهورها يؤدي إلى تقليد الأشخاص في كل شيء، مما يؤدي إلى تقديس المقلَّد، وجعله بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:(وهذا تبديل للدين، يشبه ما عاب الله به النصارى في قوله تعالى:(اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {التوبة/31}).[88]

وقال الإمام حسين بن مهدي النعمي – رحمه الله -:(كاد التابعون للأسلاف أن يجعلوا متبوعيهم، رسلاً إليهم في الحكم لا في الاسم، والمدار على المعنى، ذاهلين عما تقدموا إليهم به من التحذير عن ذلك). [89]
فهذا من التعصب الذميم والتقليد الأعمى الموصل إلى مخالفة الكتاب والسنة.

رابعاً: ظهور العصبية في الأمة تكون سبباً للتشبه بالكفار:

ظهور العصبية في الأمة المسلمة تشبه بالكفار وأهل الجاهلية الأولى. فنجد من أمة الإسلام التعصب لأهل الباطل وباطلهم مع معرفة الباطل وأهله، ولكن يُسلك ذلك تعصباً بقصد جني الفوائد الدنيوية سواء كانت حسية أم معنوية، مادية أم عينية.

وكذا تظهر العصبية في الأمة متمثلة في العصبية للأولياء وآرائهم، وفي هذا تشبه بما عند اليهود والنصارى في تقديس الأشخاص وآرائهم وآثارهم.

قال صلى الله عليه وسلم:(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله).[90]

وكذا تظهر العصبية في الأمة عن طريق الغلو في الدين، وفي هذا شبه بأهل الكتاب الذين غلوا في الدين، وشددوا فشدد الله عليهم. ويقصد بها المبالغة في الدين بما لم يشرعه الله تعالى سواء في العقيدة أم في غيرها، والتنطع في الدين بما يخرج عن وسطية الإسلام، و لاريب أن الرهبانية والتشدد في الدين من أفعال اليهود والنصارى كما هو معلوم.[91]

وكذا تظهر العصبية للآراء والمعتقدات والأفكار ويجري التكفيرعلى ذلك، وفي هذا شبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد ذكر الله حالهم في القرآن الكريم في قوله تعالى:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {البقرة/113}).

فجرى التكفير والغلو فيه بين طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذا حصل التشبه من أمة الإسلام فقد وجدت طوائف فيها تُكفِّر بعضها البعض كالخوارج تكفر المخالف لها، أو تفسقه، وغيرها ممن يتأثر بها فكراً ومنهجاً.

خامساً: ظهور العصبية تكون سبباً لإبطال منفعة العقل البشري:

فظهور العصبية في الأمة، والتقليد الأعمى والمذموم يكون سبباً لإبطال منفعة العقل البشري، الذي أوجده الله – عز وجل – في الثقلين (الأنس والجن) لأنه مناط التكليف وبه يحصل التفكر، والتأمل، والتدبر.

ولهذا نزلت الآيات في مدح العلم وفضله، واستقلال العقل والفكر، والمطالبة بالبرهان، وذم اتباع الظن، والتعصب بالباطل وللباطل، ونحو ذلك مما يدرأ عن الوقوع في العصبية وإبطال منفعة العقل.

فلا بد إذن لكل مكلف من التأمل، والتفكر، والتدبر، وإعمال العقل في الشرع، وفيما فيه مصلحة البشرية دنيا وآخرة، وعدم جمود العقل، حتى يصل إلى الحق.

وكما قيل:(إن التفكير أمر مطلوب من كل أحد، بحسب قدرته وطاقته، بل إن ذلك يدفع إلى القول بأن التفكير أمر لا تدخله النيابة فليس لأحد أن يجعل غيره – كائناً من كان – يفكر عنه، ثم يتبعه بعد ذلك، دون دليل أو تعليل.[92]

الخاتمة:

نسأل الله عَز وجلَ حسن الخاتمة. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، ففي ختام هذا البحث الذي منّ الله عليَّ بالانتهاء منه، سأقيد فيها ما توصلت إليه من أهم النتائج، والتوصيات.

أولاً: النتائج:

بعد أن منَّ الله علي بإتمام هذا البحث، أحمد الله حمداً كثيراً على ما أنعم به وتفضل من إنهاء هذا البحث، وجمع ما تيسر لي من مسائله، ومعرفة الأربع من أمر الجاهلية في أمة الإسلام، والدلالات العقدية الواردة في ذلك، وأثر ذلك على عقيدة المسلم، مستدلاً بما ورد في ذلك من النصوص الشرعية من الكتاب

والسنة، وأقوال السلف في ذلك. وكانت النتائج المستخلصة من هذا البحث إجمالية وتفصيلية على النحو الآتي:

الأول: الإجمالية:

1 - أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى هدي النبي صَلى الله عليه وسلمَ، والتمسك به عقيدة وشريعة، لإخراجها من الضلال والشقاء إلى الهدى والسعادة والنور، وهذا لا يكون إلا باتباع الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، والبحث عن المعتقد الحق، اعتقاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام، وأئمة الهدى.

2 - أهمية التمسك بالألفاظ الشرعية المعروفة من لغة الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

3 - أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيها كثير من الأحاديث المشتملة على جوامع الكلم، ومنها حديث: (الأربع في الأمة من أمر الجاهلية)، والذي تعرض هذا البحث لدراسته، وبيان معاني ألفاظه، ومدلولاته العقدية، وأثر ذلك على المسلم.

4 - أن النبي صلى الله عليه وسلم أُعطي جوامع الكلم، وحديث:(الأربع في الأمة من أمر الجاهلية) دلالة ظاهرة على ذلك.

الثاني: التفصيلية:

أن البحث في حديث:(الأربع في الأمة من أمر الجاهلية) تضمن الآتي:

1 - توضيح وتحديد مصطلحات البحث وألفاظه:(كالدلالات، والعقدية، والحديث، والأربع، والأمة، والأمر، والجاهلية، والأثر، والمسلم).

2 - الدلالات العقدية في الحديث كالآتي:

أ - إثبات النهي عن التنقص بعباد الله، ونبذ الكبر والتفاخر.

ب -إثبات النهي عن الشرك في أنواع التوحيد.

ج - إثبات النهي عن ناقض الإيمان بالقدر.

3 - أثر أمور الجاهلية على عقيدة المسلم كالآتي:

أ - ضعف الإيمان، وهو سبب في الآتي:

1 - ظهور العقائد الباطلة، والظنون السيئة.

2 - التعلق بغير الله محبةً، وتعظيماً.

3 - تعلق القلب بالران، ودرن المعاصي.

4 - ظهور العواطف الفاسدة.

5 - فشو الحقد والحسد.

6 - ظهور صفات المنافقين.

7 - حب الشهوات المحرمة، والاستهانة بالمعاصي.

ب -ظهور العصبية في أمة الإسلام، ويكون سبباً في الآتي:

1 - الافتراق في الدين.

2 - الانحراف عن المعتقد الحق.

3 - تقديس المقلِّد للمقلَّد.

4 - التشبه بالكفار.

5 - إبطال منفعة العقل البشري.

ثانياً: التوصيات:

- أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة والأساتذة والأكاديميين، وجميع المسلمين بتقوى الله – عز وجل – فهي وصية الله للأولين والآخرين حيث قال سبحانه وتعالى:(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا {النساء/131}).

- وأوصي من خلال البحث بما يأتي:

1 - ضرورة العناية والاهتمام بدراسة الأحاديث النبوية ذات العلاقة بمسائل العقيدة، وتأصيلها من مصدرها الرئيسي المتمثل في الوحي (الكتاب والسنة)، وكذا فهم سلف الأمة الصالح.

2 - ربط القضايا العقدية بالواقع المعاصر ونوازله، ثم توجيهها التوجيه الصحيح، من منظور الهدي النبوي.

3 - أوصي الباحثين في القضايا العقدية بالاعتناء بدراستها، وبيان الاتجاهات المنحرفة فيها، وبيان المنهج الحق في المسائل العقدية، وما يجب اتباعه.

4 - ضرورة تفعيل دور المراكز العلمية، والمعاهد الشرعية، والجامعات في تدريس مادة العقيدة الصحيحة، وبيان وسائل الباطل وأهله، والشبهات المضللة للناس عن الحق.

5 - الإقبال في دراسة المسائل المتعلقة بالعقيدة، وبحثها من حيث تأثيرها على العقيدة الصحيحة، وتقويمها، دراسةً، وبحثاً، ونظراً، وتأملاً، والدعوة إلى المزيد من الدراسات المتخصصة تنظيراً وتطبيقاً، وربطها بحياة المسلم العملية، وشحذ الهمم والنفوس لذلك، والاستفادة منها في الدعوة والتربية والإصلاح المجتمعي.

وبعد: فهذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي وتقصيري، كما أسال الله أن يجعل هذا العمل خالصاً له سبحانه، مقرباً لمرضاته، وأسأله تعالى أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدي الضالين، ويجنبنا أمور الجاهلية، والانحراف عن الدين، وأن يثبتنا على الحق أجمعين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الهوامش والإحالات:

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، (1399هـ - 1979م)، (259/2).

2 - اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، مادة (دلل)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990م، (1698/4).

3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلل)، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، (1427هـ - 2006م)، (399/1 فما بعدها).

4 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (دلل)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 6، 1998م، (ص1000).
5 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ط، (ص171).
6 - المصدر السابق، (ص171).
7 - محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: د. رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996م، (787/1).
8 - شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني، شرح مختصرات ابن الحاجب، تحقيق: د. علي جمعه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1،(1409ه)، (120/1).
9 - بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: لجنة من علماء الأزهر، دار الكتبي، القاهرة، مصر، ط 3،(1424ه-2005م)، (68/2).
10 - ابن النجار، شرح الكوكب، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 2،(1418ه - 1998م)، (125/1)، وينظر: الجرجاني، ط: الحلبي، مصر، (1357ه - 1938م)، (ص93).
11 - ينظر: ابن حزم، الإحكام من أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط،(1404ه)، والكلوذاني، التمهيد من أصول الفقه، دراسة وتحقيق: د. مفيد محمد أبو عمشة (61/1)، جامعة أم القرى، ط1، (1406ه - 1985م)، (41/1).
12 ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط (1423ه)، (ص27).
13 ينظر: الكلوذاني، التمهيد من أصول الفقه، (61/1)، والخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط (8/8).
14 ينظر: دلدار غفور حمد أمين، البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2007م، (ص132).
15 عبد الفتاح البركاوي، في الدلالة اللغوية، ط 2، (1423ه - 2002م)، (ص28)، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ط، (ص11).
16 رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح 2849، (28/4).
17 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مادة (عقد) (86/4)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقد)، (3031/4)، ومختار الصحاح / للرازي، مادة (عقد)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت (510/2).
18 عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ط 12، (1419ه - 1999م)، (ص11)، ط3، (ص9).
19 ابراهيم بن محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، دار ابن عفان، القاهرة، ط 5، 1997م، (ص13).

20 محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، سوريا، ط 2، (1402هـ - 1982م)، (5/1).

21 المصدر السابق (5/1).

22 أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت (ص23).

23 ينظر: ابن منظور، لسان العرب (133/2)، محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت، (208/5).

24 حسن مقبولي الأهدل، مصطلح الحديث ورجاله، مكتب الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط10، (1428هـ - 2008م)، (ص11، 12)، محمود بن أحمد الطحان، تيسر مصطلح الحديث، مكتبة المعارف، ط 10، (1425هـ - 2004م)، (ص17)، عبد الله بن يوسف الجديع، تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط 1، (1424هـ 2003م)، (17/1).

25 ينظر: عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي، مقدمة في أصول الحديث، تحقيق: سلمان الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط 2، (1406هـ 1986م)، (ص37).

26 ينظر: القرطبي، جامع الأحكام في التفسير(127/2)، ماجد عرسان الكيلاني، الأمة المسلمة: مفهومها ومقوماتها واخراجها.

27 ينظر: الطبري، جامع البيان (1920/14)، الطبراني، المعجم الكبير (60/10) برقم (9947)، والحاكم، في مستدركه (305/3) برقم (5188)، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (591،592/2).

28 رواه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عبد الله بن الزبير، وذكر مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، حرف (ز).

29 ينظر: القرطبي، جامع الأحكام في التفسير (127/2).

30 كنز العمال (193/14)، نقلاً عن الطبراني في الكبير.

31 -ينظر: سلمان بن فهد العودة، الأمة الواحدة، سلسلة إصدارات الإسلام اليوم، ط 1، 1428هـ، (ص16 فما بعدها).

32 رواه البخاري برقم (438)، ومسلم برقم (521)، من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه -.

33 رواه مسلم برقم (153)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه-.

34 رواه البخاري برقم (3456)، من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه -.

35 ينظر: خليفة حسن العسال، موسوعة المفاهيم الإسلامية (مفهوم الجاهلية).

36 رواه البخاري برقم (30)، ومسلم برقم (1661)، من حديث المعرور بن سويد– رضي الله عنه -.

37 رواه البخاري برقم (1894)، ومسلم برقم (1151)، من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه -.

38 -رواه مسلم برقم (934)، من حديث أبي مالك الأشعري– رضي الله عنه -.

39 ينظر: خليفة حسن العسال، موسوعة المفاهيم الإسلامية (مفهوم الجاهلية).

40 ينظر: اسماعيل الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، (1407هـ 1987م)، (575/2)، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 1414هـ، (5/4).

41 -الجرجاني، التعريفات، تحيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1403هـ - 1983م)، (ص9).

42 -ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (90/3)، محمد بن مرتضى الزبيدي، تاج العروس (385/32).

43 -ينظر: عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، غراس للنشر والتوزيع، ط 1، (1424هـ - 2003م)، (ص315),

44 -رواه مسلم برقم (934)، من حديث أبي مالك الأشعري– رضي الله عنه -.

45 -ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، د.ط، د.ت (ص374).

46 -ينظر: آدم عبد الله الألوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، طبعة المدني، ط 2، (ص64-67).

47 -رواه أحمد في مسنده برقم (10987)، والترمذي من سننه برقم (3148 – 3615)، وابن ماجه في سننه برقم (4308)، من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه -.

48 -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1065) عند تفسير آية الحجرات (13).

49 -ينظر: خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 3، (1429هـ - 2008م)، (ص 51 فما بعدها)

50 -رواه أحمد في مسنده برقم (20398)، وأبو داوود في سننه برقم (4902)، والترمذي في سننه برقم (2511)، وابن ماجه في سننه برقم (4211)، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث – رضي الله – عنه -.

51 -الجعلان: جمع جعل، وهي دُوَيَّبة سوداء تشبه الخنفساء، تكون في المواضع النَّدِيَّة. ينظر: الزبيدي، تاج العروس (109/14) مادة جعل، وإبراهيم مصطفى وآخرين، المعجم الوسيط، مادة: جعل، (130/1).

52 -رواه أبو داوود في سننه برقم (5116)، والترمذي في سننه برقم (3956)، من حديث أبي هريرة – رضي الله – عنه -.

53 -رواه مسلم برقم (2620/136)، وأبو داوود برقم (4090) واللفظ له.

54 -رواه مسلم برقم (91/147).

55 -عتلٌ: هو الشديد الجافي، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: أحمد طاهر الزواوي، ومحمود الطناحي، دار الفكرة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت (180/3).

56 -جَوَّاظ: هو الضخم، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (274/1).

57 -رواه البخاري برقم (4918)، واللفظ له، ومسلم برقم (2853/46).

58 -رواه مسلم برقم (91/147).

59 -النووي، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط (1407هـ - 1987م)، (90/2).

60 -محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، (378/4).

61 -النووي، شرح صحيح مسلم، (91/2).

62 -عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، 1407هـ، (718/1).

63 -رواه مسلم برقم (2865) من حديث عياض بن حمار – رضي الله عنه -.

64 ينظر: محمد بن عبد الرحمن الخميس، اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية، دار الصديق للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 1، (1431هـ - 2010م)، (ص34)، السلمي، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، ص(452)، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (355/10).

65 رواه البخاري: كتاب الاستسقاء برقم (823)، ومسلم: كتاب الإيمان برقم (133).

66 هو نص حديث رواه أبو داوود في سننه برقم (1479)، والترمذي في سننه برقم (2969)، وابن ماجه في سننه برقم (3828) من حديث النعمان بن بشير.

67 ينظر: ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، تحقيق: هاني الحاج، مكتبة ابو بكر الصديق، ومكتبة العلم، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، (477/1)، وابن عثيمين، المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط 1، 1410هـ، (139/2، 140)، ينظر: ناصر الجديع، التقليد في باب العقائد وأحكامه، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ط 1، (1426هـ - 2005م)، (ص160).

68 ينظر: ابن عثيمين، المجموع الثمين، (140/2).

69 ينظر: عبد المجيد سالم المشعبي، التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، مكتبة الصدِّيق بالطائف، ط 1، 1414هـ، (ص156-159)،ابن عثيمين، المجموع الثمين، (143/2)).

70 ينظر: آدم عبد الله الألوري، الإسلام وتقاليد الجاهلية، (ص67).

71 رواه مسلم برقم (2664)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه -.

72 ينظر: علي محمد الصلابي، الإيمان بالقدر، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، مصر، ط 1، (1431هـ - 2010م)، (ص30).

73 ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (482/1 فما بعدها).

74 السربال: الثوب السابغ كالدرع، والقطران معروف، ويسمى: الزفت، وقيل: إنه النحاس المذاب.

75 الجرب: مرض معروف يكون في الجلد، فيكون كل الجلد جرباً بمنزلة الدرع.

76 يُنظر: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، السعودية، ط 1 (1416هـ - 1996م)، (ص6).

77 ابن القيم، الفوائد، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 7، (1406هـ)، (ص43).

78 ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8 (1405هـ)، (229،230/3).

79 ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المطبعة السلفية، ط 1 (1394هـ)، (ص83).

80 نفس المصدر (ص55).

81 ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (11/10).

82 ينظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط بدون، (ص308).

83 رواه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (481/10) برقم/6065، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، (1983/4) برقم / 2559، واللفظ له من حديث أبى هريرة – رضي الله عنه-.

84 رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، (1984/4) برقم / 2559، من حديثأبى هريرة.

85 رواه البخاري باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: 119] وما ينهى عن الكذب برقم (5766)، ومسلم باب بيان خصال المنافق برقم (119) من حديث أبى هريرة – رضي الله عنه-.

86 رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (1966/4) برقم / 2578، من حديث جابر بن عبدالله –رضي الله عنه-.

87 الشاطبي، الاعتصام، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط بدون، (1402هـ)، (347/2 فما بعدها).

88 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (216/20).

89 حسين بن مهدي النعمي، معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، ط 3، (1405هـ)، (ص71،72).

90 رواه البخاري: كتاب الأنبياء، باب: (واذكر في الكتاب مريم...)، (142/4) برقم /......... من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

91 ناصر العقل، من تشبه بقوم فهو منهم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط 2، (1417هـ)، (ص56).

92 ينظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 10، (1405هـ)، (ص252). ومحمد بن مصطفى السيد، الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن، مطابع أضواء المنتدى، ط 1، (1423هـ)، (7/1).